الوظائف الجمالية في نصوصٍ مختارة من القرآن الكريم

Aesthetic Functions in Selected Texts from the Holy Qur'an

م. د. إستبرق تركي مهجهج عبيس*

Dr. Istabraq Turki Muhjhaj Obays*

الملخّص:

تعدُّ الوظائف الجمالية التي توظفها اللغة في النص القرآني من الإعجاز القرآني الذي أعجز العرب عن فصاحته وبلاغته وتنسيقه وترابط نصوصه والمعاني التي تكمن فيها، فالوظيفة الاحتمالية تكسب النص رونقاً ودلالات عدة، إذ تعددت الدلالات المحتملة في النص القرآني وكلها مرادة ومطلوبة، و منها أيضاً ظاهرة الحذف، إذ وظيفة جمالية، فقد يحذف من النص القرآني لفظ اسم أو حرف حسبما يقتضيه السياق والمقام، فما يقع فيه حذف فهو لغرض دلالي وبلاغي نلحظ فيه الفن والجمال، وتحقيق الدلالة معاً، وقد تعدد الوظائف النحوية في النص القرآني لغرض بلاغي، ليؤدي وظيفة جمالية، وتضفي للنص القرآني دلالة واضحة.

الكلمات المفتاحية: الوظائف الجمالية، الاحتمالية، الحذف، تعدد الوظائف النحوية.

Abstract:

The aesthetic functions that language employs in the Qur'anic text are considered one of the Qur'anic miracles that the Arabs were unable word achieve due to its eloquence, eloquence, coordination, and the coherence of its texts and the meanings that lie in them. The probabilistic function gives the text elegance and many connotations, as the possible connotations in the Qur'anic text are numerous, all of them desired and desired, and also among them is the phenomenon of deletion. As an aesthetic function, the word name or letter may be deleted from the Qur'anic text as required by the context and position. Whatever is deleted is for a semantic and rhetorical purpose in which we notice art and beauty and the achievement of significance together. Grammatical functions have been multiplied in the Qur'anic text for a rhetorical purpose, to perform an aesthetic function. It gives the Quranic text a clear meaning.
Keywords: Aesthetic Functions, Probability, Deletion, Multiplicity of Grammatical Functions.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل – العراق.

Email: dr.istabrqturki@gmail.com

* College of Education for Human Sciences / University of Babylon - Iraq.

المقدمة:

تتمتع اللغة العربية بوظائف جمالية تميزها عن غيرها من اللغات الأخرى، ونستطيع أن نلمس هذه الوظائف الجمالية في نصوص القرآن الكريم التي تعدَّ إعجازاً للغة الذكر الحكيم؛ فجاء البحث موسومًا بـ (الوظائف الجمالية في نصوص مختارة من القرآن الكريم)، واقتصر البحث على ثلاث وظائف نحوية دلالية فقط وظفتها في نصوص مختارة من القرآن الكريم، فمساحة البحث ضيقة لا تسع ذكر الوظائف الجمالية الغزيرة في لغتنا الحبيبة، اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، واقتضت طبيعة البحث أن يكون على ثلاثة مطالب: الوظيفة الاحتمالية النحوية، والثاني: الوظيفة الجمالية لظاهرة الحذف، والثالث: تعدد الوظائف النحوية في التركيب اللغوي.

المطلب الأول: الوظيفة الاحتمالية النحوية:

يُعد الاحتمال مظهراً جمالياً يرفع من شأن النص المحتمل، قال عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ): ((واعلم أنه إذا كان بينًا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه حتى يشكل، وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه، وأنه الصواب إلى فكر وروية فلا مزية، وإنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهًا آخر[١]))

يهدف الاحتمال في النحو إلى استقصاء الدلالات المتعددة والمزدحمة في النصوص الرفيعة؛ فإنه ((بقدر ذلك التعدد والثراء تكون منزلة النصوص[٢])) ، ولا وسيلة لحفظ هذه الدلالات وعدم التفريط بها غير الاحتمال.

قال تعالى: **[ومِنَ الناسِ مَنْ يَقولُ آمنّا بِاللهِ وَبِاليومِ الآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنينَ *يُخادعونَ اللهَ والذينَ آمنوا ومَا يَخدَعُونَ إلّا أنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرونَ] (البقرة/ ٩.٨)**، يحتمل في جملة (يخادعون الله) أن تكون بدلاً من جملة (يقول) الواقعة صلة موصول لـ (مَنْ)، بدل كل من كل، لبيان جملة الصلة[٣] ، قال أبو حيان: ((ويكون ذلك بياناً؛ لأنّ قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين في الحقيقة مخادعة، فيكون بدل فعل من فعل؛ لأنه في

[١] نظرية النحو العربي في ضوء تعدد أوجه التحليل، وليد حسين: ٤٢.

[٢] اللغة، فندريس:٣٠٤ . ٣٠٥.

[٣] ينظر: الكشاف، الزمخشري: ١/ ٥٨، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٤٨.

معناه[٤])) ، وعلى هذا يكون المعنى: ومن الناس من يخادعون الله، على أساس أن المبدل منه على نية الإسقاط، ويرى السمين الحلبي أنّه بدل اشتمال[٥] .

ويحتمل أن تكون جملة (يخادعون الله) كلام مستأنف وقع جواباً لسؤالٍ مقدر، كأن قائلاً يقول: ((لِمَ يدعون الإيمان كاذبين وما نَفْعُهُم في ذلك، فقيل: يخادعون[٦])) .

ويحتمل أيضاً أن جملة (يخادعون الله) واقعة في موضع نصب حال من الضمير المستكن في (يقول[٧]) ، فيكون تقدير الكلام: ومن الناس من يقول آمنا مخادعين الله، أو حالاً من الضمير المستكن في قوله تعالى: (بمؤمنين)، على تقدير: وما هم بمؤمنين حال خداعهم[٨] .

قال تعالى: **[أولئِكَ الذينَ اشْتَرَوْا الحياةَ الدنيا بِالآخرةِ فلا يُخَفَّف عنهم العذابُ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ] (البقرة: ٨٦)**، يحتمل في قوله تعالى: (فلا يخفف) أن تكون معطوفة على جملة صلة الموصول (اشتروا الحياة) داخلاً في حيزها على الرغم من اختلاف زمن الفعلين[٩] ، قال السمين الحلبي: ((ولا يضر تخالف الفعلين في الزمان فإنّ الصلات من قبيل الجمل، وعطف الجمل لا يشترط فيه اتحاد الزمان، ويجوز أن تقول: جاء الذي قتل زيداً أمس وسيقتل عمراً غداً، وإنما الذي يشترط فيه ذلك حيث كانت الأفعال منزَلة منزِلَة المفردات[١٠])) ، على تقدير: أولئك الذين اشتروا وأولئك الذين لا يخفف عنهم؛ لأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض[١١] .

ويحتمل أيضاً أن يكون قوله تعالى: (فلا يخفف) خبر ثان للمبتدأ (أولئك)، وهذا ما ذهب إليه أبو حيان، وتابعه السمين الحلبي، على تقدير أنّ الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض هم الذين اشتروا الحياة الدنيا، الذين لا يخفف عنهم العذاب، وإما أن يكون خبراً للموصول على أن يكون(أولئك) مبتدأ، و(الذين) مبتدأ ثان، و(فلا يخفف) خبر للمبدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر للمبتدأ الأول (أولئك[١٢]) ، فيكون المعنى: أنّ الذين اشتروا الحياة الدنيا لا يخفف عنهم العذاب.

---

[٤] البحر المحيط، أبو حيان: ١/ ٩١.

[٥] ينظر الدر المصون، السمين الحلبي: ١/ ١٢٤.

[٦] مدارك التنزيل: ١/ ٤٨.

[٧] ينظر: التبيان في علوم القرآن، العكبري:١/ ٢٥، والبحر المحيط: ١/ ٩١، والدر المصون: ١/ ١٢٤.

[٨] ينظر: التبيان في علوم القرآن: ١/ ٢٥.

[٩] ينظر: مفاتيح الغيب/، الرازي: ٣/ ٥٩٤، البحر المحيط: ١/ ٤٤٧.

[١٠] الدر المصون: ١/ ١٩١ . ٤٩٢.

[١١] ينظر: جامع البيان، الطبري: ٢/ ٣١٦.

[١٢] ينظر: البحر المحيط: ١/ ٤٧٧، الدر المصون: ١/ ٤٩١.

قال تعالى: **[لَا أُقْسِمُ بِهذا البَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهذا البَلَدِ] (البلد:١. ٢)**، أي وأنت حالُ مقيم بهذا البلد، نلحظ أن كلمة (حِلّ) قد احتملت معان عدة في آن واحد وكلها مرادة ومطلوبة، فقد تأتي بمعنى الحالُ والمقيم، والمقصود به تعظيم المقسم به، وهو أنّه لما حلّ الرسول (صلى الله عليه واله) بمكة، جمعت شرفين: شرفها الذي شرّفها اللهُ به، وشرف الرسول؛ فازدادت تعظيماً على تعظيم وشرفاً على شرف، فاستحقت بذلك القسم[١٣] .

ومن معاني (الِحلّ) أنها تأتي بمعنى اسم المفعول، أي: المُستَحلّ واسم الفاعل، أي: الحالّ، والمصدر، أي: الحلال، وهذه المعاني كلها مرادة ومطلوبة، فهو في حالُ البلد الكريم يبلغُ رسالة ربه متحرج من آثامهم بريء من أفعال الجاهلية، وقد استُحلت حرمته وأريد قتله في حين حلوله به وتبليغ دعوة ربه، وأنه حلّ لرسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) أن يقتل ويأسر في هذا البلد يوم الفتح ما لا يحل لغيره، وهذا على الاستقبال وعلى الوعد بنصره[١٤]

قال تعالى: **[وَقد مَكرُوا مَكْرهُم وَعِندَ اللهَ مَكْرهم وإنْ كان مَكْرهم لِتزول منهَ الجبال] (إبراهيم/ ٤٦)**. فـ " إن" تحتمل أن تكون شرطية، أي: ولو كان مكرهم لتزول منه الجبال، وتحتمل أن تكون نافية، أي: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال[١٥] ، فـ "إن" هنا بمعنى "ما" واللام المكسورة في " لِّتزولَ" هي لام الجحد، الناصبة للفعل المضارع.

قوله تعالى: **[إنَّي بَرآءٌ ممّا تَعبدونَ] (الزخرف/ ٢٦)**، فكلمة: براء" تحتمل المصدر على المبالغة، فيكون من الإخبار بالمصدر عن الذات، وتحتمل أنها صفة مشبهة فَعال، كجواد وصّناع، ومنه أيضاً قوله تعالى: **[هل أتى على الإنسانِ حينٌ منَ الدهرِ لَم يَكُن شَيئاً مَذكوراً] (الإنسان /١)** فهذا يحتمل أنه لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً أو غير مذكور، ويحتمل أنه كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه الله من طين إلى أن نفخ فيه الروح[١٦] .

ومن الجمل ما يحتمل الخبر والإنشاء، **كقوله تعالى: [قالَ رَجلانِ منَ الذينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عليهما] (المائدة / ٢٣)**، فجملة " أنعم الله عليهما" تحتمل الدعاء، فتكون معترضة، وتحتملُ الإخبار،

[١٣] ينظر: البحر المحيط: ٨/ ٤٧٤، مفاتيح الغيب/٣١/ ١٨٠، روح المعاني، الالوسي: ٣٠/ ١٣٤.
[١٤] ينظر: البحر المحيط: ٨/ ٤٧٤، مفاتيح الغيب، ١٨١/٣١، لمسات بيانية' فاضل السامرائي: ٢٤٦. ٢٤٧.
[١٥] ينظر: الكشاف: ٣/ ٢٥٦، البحر المحيط: ٨/ ٣٠٩.
[١٦] ينظر: البحر المحيط: ٨/ ٣٧٨.

فتكون صفة، ومنه قوله تعالى: **[أَو جاؤكُم حَصِرَتْ صُدُورُهُم] (النساء/ ٩٠)**، فجملة " حصرت صدورهم" يحتمل أن تكون خبرية فتكون حالا، ويحتمل أن تكون إنشائية فيكون معناها الدعاء[١٧] .

المطلب الثاني: الوظيفة الدلالية لظاهرة الحذف:

يُعدُّ الحذف ظاهرة أصلية في العربية من حيث الوجود والدراسة، والحذف في العربية مع ما فيه من أيجاز واقتصار يكون به الكلام أوقع وأبلغ، وقد يؤدي من المعاني ما لا يؤديه الذكر والإطالة، ونلحظ فيه غاية الفن والجمال.

قال تعالى: [فما اسْطاعُوا أن يَظهرُوهُ وما اسْتطاعُوا لَهُ نَقْباً] (الكهف/ ٩٦ . ٩٧)، حذفت التاء في قوله تعالى: ((فما اسطاعوا أن يظهروه))، أي أن يصعدوا عليه، وإبقاء التاء في قوله تعالى: ((وما استطاعوا له نقباً))؛ وذلك لأن صعود السد الذي هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسر من نقبه، وأخف عملاً، فخفف العمل للعمل الخفيف، فحذف التاء مع الصعود، وأبقى التاء مع طول الفعل (النقب)، فجاء جلّ وعلا للعمل الثقيل ببناء أطول[١٨] .

قال تعالى: **[لَهُ ما فِي السَّماوات وما في الارضِ] (طه/ ٦)**، وقال تعالى في سورة البقرة : **[لَهُ مَا فِي السَّماواتِ والأرضِ] (البقرة/ ١١٦)** فكررت (ما) الموصلة في الآية الأولى، ولم تتكرر في الآية الثانية، ومنه أيضاً قوله تعالى: **[وَاللهُ يَعْلمُ مَا فِي السَّماواتِ وَما في الأرضِ] (الحجرات/ ١٦)**، وقال تعالى في سورة العنكبوت/ ١: **[يَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ والأرضِ]**، فكُررت (ما) في الأولى ولم تتكرر في الثانية وقال تعالى: **[سَبَّحَ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَمّا فِي الارضِ] (الحشر/١)، وفي سورة الحديد/١، قال: [سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّماوات والارضِ]**، فنلحظ أيضاً تكرار (ما) في الآية الأولى وعدم تكرارها في الآية الثانية، فجاء هذا الحذف هنا ليؤدي وظائفاً جمالية بلاغية، فمتى ما قُصد التنصيص على الإفراد ذُكر الموصول والظرف معاً، ومتى ما قُصِدَ أمراً آخر حذف الموصول ولم يذكره إلّا مرة واحدة إشارة إلى قصد الجنس وللاهتمام بما هو مقصود في تلك الآية[١٩] .

وقد يتكرر الموصول إذا كان الموطن دالاً على الإحاطة والتفصيل، ويحذف إذا كان الكلام مجملاً غير مفصل، كما في قوله تعالى: **[يَومَ يبعثهم اللهُ جميعاً فَيُنبِئُهُم بما عَملوا أحصاهُ اللهُ وَنَسوهُ واللهُ على**

[١٧] ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: ٢/ ٤٣٠.
[١٨] ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي:٢/ ٦٥٥.
[١٩] ينظر : البرهان ، الزركشي : ٤/ ٧٣. ٧٤.

كَلَ شَيْء شهيدٌ* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعلمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ وما يكونُ من نَجوى ثَلاثةٍ إلّا هوَ رابعُهُمْ ولا خَمسةٍ أَلّا هوَ سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثرُ إلّا هوَ مَعَهم أين ما كانوا ثُمَّ يُنبَئُهُم بما عَمِلوا يَومَ القيامةِ إنَّ اللهَ بكلِّ شيْءٍ عليمٌ] (المجادلة:٦-٧)، فكررت (ما) في قوله تعالى: (يعلم ما في السماوات والأرض)؛ لأن الموطن موطن تفصيل وإحاطة بخلاف قوله تعالى: **[قُلْ كفى باللهِ بيني وَبينَكم شهيداً يعلم ما في السماوات والأرضِ والذين آمنوا بالباطل وكفروا باللهِ أولئك هُم الخاسرون] (العنكبوت / ٥٢)**، فلم تتكرر (ما) هنا ؛ لأن في آية المجادلة من التفصيل ما ليس في آية العنكبوت، فلما فصل جلّ وعلا في أية المجادلة أعاد ذكر (ما)، ولما أجمل في آية العنكبوت أجمل في ذكر الموصول فلم يعد يذكره[٢٠] .

قال تعالى: [وأمرتُ أنْ أَكُونَ مِنَ المُسلمينَ] (يونس/ ٧٢)، هنا يحتمل تقدير حرف محذوف (اللام، أو الباء)، فحتمل أن يكون المعنى المراد " وأمرتُ لأن أكون"، كما في قوله تعالى: **[وأمرتُ لأنْ أكُونَ أولَ المسلمينَ] (الزمر/ ١٢)**، ويحتمل أيضاً أن يكون المعنى المراد " وأمرتُ بأن أكون"، كما في قوله تعالى: **[وأمر أَهلك بالصلاةِ] (طه/ ١٣٢)**، **وكلا** المعنيين مراد، فأدى الحذف هنا توسعاً دلالياً.

المطلب الثالث: تعدد الوظائف النحوية في التركيب اللغوي.

نقصد بالوظيفة النحوية، المواقع النحوية التي تشغلها الكلمة؛ لعلاقتها بالعناصر اللغوية في التركيب اللغوي الواحد، فقد تتكرر الوظيفة النحوية في التركيب اللغوي الواحد بأشكال مختلفة على النحو الآتي:

أولاً: تعدد الخبر:

قد يتعدد الخبر في الجملة الواحدة ليؤدي وظيفة دلالية جمالية، كما في قوله تعالى: **[وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ] (فاطر:١٢)**، فـ "هذا" مبتدأ "و "عذبٌ" خبرٌ أول، و "سائغٌ" خبر ثان، وهذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته تعالى ؛ لأنّه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي، وانّه جلَّ وعلا لم يسوِّ بينهما، فالمصلحة تقتضي أن يكون ماء الأنهار فراتاً عذباً سائغاً شرابه؛ لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن يكون ماء البحر مالحاً أجاجا لكي لا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح الكائنات الميتة في البحر؛ لأنّه ساكن لا يجري، فأوضحت الآية الكريمة الفرق بين البحار والأنهار، وطبيعة كل منها، فجاءت الأخبار تبيّن عدم التسوية بينهما، لتوضح وتفصل ما جاء قبلهما من كلام، فأفاد

[٢٠] ينظر: التعبير القرآني ، فاضل السامرائي: ٩١- ٩٢.

تعدد الخبر تفصيل الإجمال الحاصل في المبتدأ، فجاءت فيه صورة تمثيلية رائعة، فهو تركيب استعمل في غير موضعه لعلاقة المشابهة، وليس فيه ذكر للمشبه ولا لأداة التشبيه.

ومنه أيضاً قوله تعالى: **[هُو لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ *لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ] (البقرة/ ٢٥٥)** فالضمير " هو" في محل رفع مبتدأ، والجملة الاسمية "لا إله إلّا هو" في محل رفع خبر أول، وقوله "الحي" خبر ثان، وقوله " القيوم" خبر ثالث[٢١] .

فجاء قوله تعالى: [اللهُ لا إله إلّا هو] ليخبر عن إثبات الوحدانية لله عزَّ وجلَّ، وجاء الخبران الثاني في قوله تعالى " الحي" و " القيوم" لإثبات الحياة لله تعالى وإبطال استحقاق آلهة المشركين للحياة؛ لانتفاء الحياة عنهم، فوصف الله تعالى بالحي؛ لإبطال عقيدة المشركين لأصنامهم التي هي جمادات، فكيف يدبر أمور الخلق جماداً![٢٢] ، ومنه أيضاً قوله تعالى: **[اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ] (الشورى: ١٩)** لفظ الجلالة "اللهُ" مبتدأ، وقوله: "لطيف بعباده: خبرٌ أول للفظ الجلالة " اللهُ"، وقوله تعالى: "يرزقُ من يشاءُ" جملة فعلية، خبرٌ ثان للفظ الجلالة "اللهُ"، فجاء تعدد الخبر هنا في قالب معبرٍ عن أحداثٍ مستمرة، أي للدلالة على الأحداث المستمرة للذات العظيم[٢٣] .

ثانياً: تعدد الصفة:

قد تكون للموصوف الواحد صفات عدة في التركيب النحوي؛ لتؤدي وظيفة جمالية، كما في قوله تعالى: **[هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] (الحشر: ٢٤)**، فالضمير المنفصل "هو" في محل رفع مبتدأ، ولفظ الجلالة " الله" خبر أول للمبتدأ " هو"، وكل من " الخالق، والبارئ، والمصور" صفات للفظ الجلالة " الله" ويجوز أن تكون أخباراً للمبتدأ " هو" وفي كلتا الحالتين يُعدّ هذا التكرار من الوظائف النحوية والبلاغية الجمالية، فنجد أن هذه الصفات يخرج كلٌّ منها من العدم إلى الوجود، فمن التقدير أولاً وإلى الإيجاد ثانياً، وإلى التصوير بعج الإيجاد ثالثاً، ووالله خالقٌ من حيث إنّه مقردٌ، وبارئٌ من حيث إنّه مخترعٌ موجود، ومصورٌ من إنّه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب، فجعل المعاني متلازمة، وجعل الفرق بينها بالاعتبار[٢٤] ، وقد ذكرت هذه الصفات متتابعة؛ لأن من مجموعها يحصل تصور الإبداع الإلهي للإنسان.

[٢١] ينظر: إعراب القرآن: محي الدين درويش: ٣/٧٦.
[٢٢] بنظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور ٣/ ٤٢.
[٢٣] ينظر: أسس العربية الفصحى، فالح العجمي: ٢٦١.
[٢٤] ينظر التحرير والتنوير: ٣/ ١٥٢.

ابتدئ عزّ وجلّ بالخلق أولاً الذي هو الإيجاد الأصلي، ثم بالبرء الذي هو تكوين جسم الإنسان بالتصوير، وإعطاءه الصورة الحسنة، قال تعالى: **[الذي خلقك فسواك فعدلك] (الانفطار/ ٧)**.

وتكمن الوظيفة الجمالية في هذه الصفات الثلاث في الإشارة إلى تصرّفه في البشر بالإيجاد على كيفيته البديعة؛ ليثير عزَّ وجلَّ داعية شكره على ذلك، ولذلك أعقبه بقوله جلَّ وعلا: **[يسبح له ما في السماوات والأرض]**، وقد تناسبت مواقع هذه الصفات بعضها عقب بعض من حيث التنظيم والتنظير والاحتراس والتتميم[٢٥] .

قال تعالى: [يا أيُها الذينَ آمَنُوا مَنْ يَرتَدْ مِنْكُم عَن دِينِهِ فَسوْفَ يَأتي اللهُ بِقُومٍ يُحبُّهُم ويُحبُّونَهُ أذِلَةٍ على المُؤمنينَ أعزةٍ على الكافرِينَ] (المائدة؟ ٤٥)، نلحظ تعدد الصفات للموصوف الواحد، فجملة (يحبهم اللهُ ويحبونه) صفة أولى للموصوف (القوم) وجملة (أذلة على المؤمنين) صفة ثانية له، وجملة (أعزة على الكافرين) صفة ثالثة له، وجاءت الصفة الثالثة لدفع توهم في نعت متقدم، فجاء النعت الثالث (أعزة على الكافرين) لدفع توهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما جيء بالنعت الثالث عُلِمَ أنها منهم تواضع لهم[٢٦] ، فالمؤمنون رحماء فيما بينهم، ويعطف بعضهم على بعض، في حين تكون علاقتهم مع الكفار تختلف تماماً، فهم أقوياء أشداء عليهم لا تأخذهم بهم رأفة ولا رحمة ولا شفقة.

قال تعالى : [وَعَدَ اللهُ المؤمنينَ وَالمُؤمناتِ جَنَاتٍ تجري مِن تحتها الانْهارُ خَالدِينَ فِيها وَمَساكن طيبةً في جناتِ عَدْن] (التوبة: ٧٢)، وصفت المساكن بأنها مساكن طيبة، أي حسنة البناء وطيبة القرار تملأُ النفوس بالبهجة والسرور، وهذه المساكن في جنات عدن، وعن معناها الإقامة، عدن في المكان، إي أقام به، فهي جنات إقامة، فنهاك فرقاً بين أن تسكن في مكان مؤقت وبين أن تقييم فيه خالداً[٢٧] ، ف (المساكن) موصوف، و(طيبة) صفة أولى لها، و(في جنات عدن) صفة ثانية للمساكن، فجاءت الصفة (طيبة) تصف المساكن التي وعد الله المؤمنون، فصفتها أنها طيبة حسنة، وجاءت الصفة الثانية؛ لتخصص مكان هذه المساكن الطيبة، فهي في جنات عدن الخالدة، وهنا نلحظ الوظيفة الجمالية لتعدد الصفات؛ فالصفة الثانية جاءت لتخصص صفة سابقة.

[٢٥] ينظر: المصدر نفسه ٣/ ١٥٣.

[٢٦] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني :١/ ٣١٠ . ٣١١.

[٢٧] ينظر جامع البيان: ٣/ ١٤٥.

ثالثاً: تعدد الحال:

قد تتعد الحال في التركيب النحوي لتؤدي وظيفة جمالية، وأغراضاً دلالية وقد ورد تعدد الحال في القرآن الكريم في مواضع عدة، **قال تعالى: [محمدٌ رَسولُ اللهِ والذينَ معهُ أشداءُ على الكُفّار رُحماءُ بينهم تراهم رُكعاً يَبْتَغُونَ فضلاً من اللهِ ورضواناً] (الفتح/ ٢٩)**، ف (ركعاً) حال أولى من الضمير المتصل (هم) في تراهم، و(سجداً) حال ثانية، أي، راكعين ساجدين، أي كثيري الركوع والسجود، والجملة الفعلية (يبتغون) في محل نصب حال ثالثة[٢٨] ، أي يطلبون الفضل والرضوان ما الله تعالى، فالرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحابه يداومون على العبادة وهي الصلاة هنا؛ لأنهم يبتغون فضلاً من الله، فجاءت الأحوال متصاحبة ؛ فالأولى والثانية غايتهما الثالثة، ومنه **قوله تعالى : و[أُحِلّ لكم مَا وَراءَ ذلِكُمْ أنْ تبْتَغوا بأمْوالِكُم مُحصنينَ غيْرَ مُسحافحينَ] (النساء/ ٢٤)** فقوله تعالى: (محصنين، ومسافحين) حالان من الضمير المتصل في تبتغوا (الواو)، فجاءت الحال الثانية مؤكدة للحال الأولى، وهو معنى العفة؛ فالمحصن وغير المسافح يتصف بالعقة والطهارة، والحال الثانية جاءت لتقوي وتدعم معنى الحال الأولى، وتثبت هذه الصفة في ذهن المتلقي، **وقوله تعالى: [إنَّا هَديْناهُ السَبِيلَ إمّا شَاكِراً وَإمّا كَفُوراً] (الإنسان/ ٣)**، تعدد الحال في الآية القرآنية الكريمة بعد إما التفصيلية، فجاء كل من (شاكراً، وكفوراً) حالين من ضمير الغيبة (الهاء) في (هديناه) العائد على الإنسان، وقيل هما حالان من السبيل، إنّا عرفناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً[٢٩] ، ولقد جاء الحالان ليفصلا ويوضحا ما أجمل قبلهما، فالإنسان باختيار إما أن يؤمن بخالقه ويشكر، أو يكفر به.

الخاتمة:

بفضل الله وبحمده توصل البحث إلى بعض النتائج، أهمها:

١. تعدُّ الوظيفة الاحتمالية من الوظائف الجمالية التي تكسب النص رونقاً ودلالات عدة، فتعددت الدلالات المحتملة في النص القرآني وكلها مرادة ومطلوبة.

٢. تعدُّ ظاهرة الحذف وظيفة جمالية، فقد يحذف من النص القرآني لفظ اسم أو حرف حسبما يقتضيه السياق والمقام، فما يقع فيه حذف فهو لغرض دلالي وبلاغي نلحظ فيه الفن والجمال، وتحقيق الدلالة معاً.

[٢٨] ينظر: إعراب القران، النحاس: ٢/ ١٣٢.

[٢٩] ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٥/ ٩٦، والكشاف: ٢/ ٣٢٩، التحرير والتنوير: ١٢٥/ ٣٠.

٣. تعددت الوظائف النحوية في النص القرآني جاء لغرض بلاغي، ليؤدي وظيفة جمالية، وتضفي للنص القرآني دلالة واضحة.

٤. تعدُّ الوظائف الجمالية التي توظفها اللغة في النص القرآني من الإعجاز القرآني الذي أعجز العرب عن فصاحته وبلاغته وتنسيقه وترابط نصوصه والمعاني التي تكمن فيها.

المراجع والمصادر :

- القرآن الكريم.
- أسس العربية الفصحى، فالح بن شبيب العجمي، مطابع التقنية، ٢٠٠١م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محمد محي الدين الدرويش (ت ١٤٠٣م)، دار الارشاد للشؤون الجمعية . حمص ودار ابن كثير . دمشق، ط٤، ١٤١٥هـ.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني، والبيان والبديع، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠١م.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تح: ثلة من الأساتذة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر، أبو عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار إحياء الكتب العلمية، ١٩٥٧م.
- التبيان في علوم القرآن، محمد بن الحسن، أبو البقاء العكبري (٦١٦هـ)، تح: أحمد حبيب حيدر العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، دار إحياء التراث العربي بيروت،١٤٠٩هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي(١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر . تونس، ١٩٨٤م.
- التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مكتبة رشيد اهجري، العراق . بغداد، ط١، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م.
- جامع البيان عن وجوه تأويل آية القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٢٠هـ .٢٠٠٠م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ ١٩٧٨م.
- روح المعاني تفسير القرآن العظيم والبع المثاني، شهاب الدين، أبو الفضل الالوسي (١٢٧٠ هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم الزمخشري (٥٣٨هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، قرأه وعلق عليه، الدكتور يحيى مراد، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٦م.
- اللغة، فندريس، تحقيق وتعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القضاص، مكتبة الأنجلو . القاهرة المصرية
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمان، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل . أبة البركات عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي (٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب ـ بيروت، ط٢،١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد بن يوسف بن أحمد بن عبد جمال الدين بن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، تح: مازن المبارك، مؤسسة الصادق . طهران، ط١، ١٣٧٨ هـ.
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي (٦٠٦هـ)، دار الفكر ـ بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ في آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، تح: محمود كامل أحمد، دار النهضة للطباعة والنشر ـ بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- نظرية النحو العربي قي ضوء تعدد أوجه التحليل النحوي، د. وليد حسين، دار قضاءات، عمان، ٢٠٠٩م.